الارادة والعمـــــــــل

بقلم الاستاذ محمد جاد المولى بك
المفتش بوزارة المعارف العمومية

الاستاذ جاد المولى بك من خيرة الاساتذة العلماء الذين تلمس فيهم نبل الخلق وسعة الاطلاع في غزارة مادة ، وفوق ذلك فهو معروف الى الحد الذي لا يحتاج معه الى أن نقدمه الى القراء ؟ المحرر

الارادة هي القوة التي أودعها الله الانسان ، وسلمها زمام عقله: فبها تعقد العزيمة على إمضاء عمل عاجل أو آجل ، فان كان آجلا ولم تحل دونه الحوائل الخفية تم إنفاذه على الفور، وإن كان آجلا بقي في النفس مكنونا حتى يجيء حينه ، وربما طال عليه الأمد تتعذر إنفاذه، إذ قد تسخو النفس بالعزيمة على أمر ، وصاحبها متأثر بأحوال ومقتضيات، غير محيط بعواقب الأمور: حميدها وذميمها، منطوية نفسه على أمور مخبوءة في غياهب ثنياتها ، حتى إذا جاء زمن الامضاء والانفاذ ، وحقت الحقائق نجمت أحوال جديدة ، وانكشفت الأمور المكنونة ، فانحلت عزيمة النفس ، وثقل عليها العمل فتغيرت عن عزمها ؛ وخذلت صاحبها ؛ ولنضرب مثلا : يعقد السياسي العزيمة على أنه إذا تولى رياسة الحكومة مثلا التزم الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها، وأقام أركان العدل، واجتنب الميل والمحاباة، والتشيع والمماراة، واستأصل جذور الظلم والظالمين، وحصد شوكة المرتشين والراشين والرائشين، واتخذ ظهراً له أشياع الحق وأنصار العدل وأهل الدين والخلق وحماة الفضيلة والأدب، حتى إذا تولى صادف عزيمته الضعف والوهن ، واستحوذ عليه الهوى ، فصرفه عن الرشد وزين له قبيح عمله فأضله عن سواء السبيل، فركن إلى شيعة الباطل وأعداء الحق، واستمد رأيه من أتباع الغي وبطانة السوء.

من أجل ذلك قال علماء الأخلاق « عقد العزيمة لا يستلزم حتما إنفاذ العمل » فطالما هبت ريح العزائم على النفس فأنعشتها ، وأفعمتها بجم المقاصد، ثم ما لبثت أن سكنت، وهدأت ، كأنها كانت حلماً لصاحبها ، وإلى ذلك أشار علي رضي الله عنه إذ يقول : « ما أنقض النوم لعزائم اليوم » فكم خطط بدرت بالخاطر ثم قرت، وكم عزائم صالت ثم انهزمت أمام تبدل الأحوال، مذعورة من اشتباه العقبى، وغموض المآل.

يتبين مما تقدم أن الارادة غير العمل، وأن القول بأنهما شيء واحد باطل ؛ حقاً قد تتصف الارادة بالقوة فيقترن بها العمل، ولذلك يخيل لغير المدقق أنها والعمل أمر واحد، والحق أنه لا اشتباه، لأن اتصافها بالقوة، لم يغير من حقيقتها، بل جعلها وسيلة قريبة للعمل مفضية إليه ؛ وقوتها: إما فطرية، وإما كسبية مستفادة ، فان كانت فطرية فصاحبها يوسم غالباً بأنه غليظ الكبد ، قاسي

القلب، رابط الجأش، لايخشى ركوب متن الأهوال واقتحام المصاعب والمخاطر، وإن كانت كسبية، وأصحابها من ذوى الفكر الواسع الذين خبروا الأمور وسبروها، وتعرفوا مايهم منها ومالا يهم، فالى الملهم وجهوا الهمم، وله شحذوا العزائم؛ ألا ترى قوة الارادة متجلية فى قول عمر رضى الله عنه «لأن أقدم فتضرب عنق أحب إلى من أن أتأخر على قوم فيهم أبو بكر رضى الله عنه» إذ معنى هذا أنه وجد من نفسه العزم الجازم على أنه لايتأمر مع وجود أبى بكر؛ وأكد ذلك بما ذكره من القتل، ومثل عمر من لو خير بين أن يقتل هو أو أبو بكر لفداه بنفسه، وآثر حياته على حياته .

حقاً لقد أراد عمر رضى الله عنه أن يجعل نفسه قدوة صالحة ، ومثلا كاملا ، وعبرة نافعة لمن رمت الشكوك بنوازعها عزيمة اعتقادهم ، واعتركت الظنون على معاقد يقينهم ، وقدحت قادحة الاحن فيما بينهم ، ثم عدت على عزائمهم خدائع الشهوات ، وطمست بصائرهم بلادة الغفلات ، وتولاهم غل التحاسد ، وشعبتهم مصارف الريب واقتسمتهم أخياف الهمم .

يستخلص مما تقدم أن الارادة القوية سر النجاح، ورائد الظفر وحياة الشعوب والأمم ولا شيء أدل على متانة الخلق ، واستحصاف قواعده ، من إرادة قوية تحبب إلى صاحبها الاستقامة والاستبسال فى الدعوة إلى: مكارم الخصال : ومحامد الأفعال، والتعصب لخلال الحمد من الحفظ للجوار، والوفاء بالزمام، والطاعة للبر، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل، والكف عن البغى، والانصاف للخلق، والكظم للغيظ، واجتناب الفساد فى الأرض.

وكل أمة يكثر فى أبنائها ذوو الارادة القوية والعزيمة الصادقة، لاتلبث أن تنشر النعمة عليها جناح كرامتها وتسيل لها جداول نعيمها ، ويمنحها الله سلطاناً قاهراً وعزاً غالباً ، يثبت ملكها ويؤيد دولتها ، ويجعل منها حكاماً على العالمين ، وملوكا فى أطراف الأرضين، يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم، ويمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم، وإلى درجة صدق الارادة والوفاء بالعزم يشير قوله تعالى فى كتابه الكريم «رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا» .

فلقد روى أن أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشق ذلك على قلبه وقال: أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه، أما والله لئن أرانى الله مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ماأصنع، فلما كان العام شهد واقعة (أحد) فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال يا أبا عمرو إلى أين؟ فقال: واها لريح الجنة، إنى أجد ريحها دون (أحد)؛ فقاتل حتى قتل، فوجد فى جسمه بضع وثمانون: مابين رمية وضربة وطعنة، فقالت أخته بنت النضر: ماعرفت أخى إلا بثيابه، وكذلك تفعل قوة الارادة بأهلها، وكذلك يكون اليقين .

ولما كانت الارادة بهذه المنزلة قال جمهور الخلقيين « إن الخلق صورة الارادة » ومرادهم أن

للنفس أحوالا شتى ، وخلقها هو الحال التى تتغلب عليها وتصرفها ، فمن رسخ فى نفسه مثلا وتغلب عليها حال تقديس الواجب ، فاتخذه المرد الأعلى ، والمرجع الأسمى ، الآمر الزاجر ، الناهر القاهر ، فهو صاحب الأرادة الصادقة ، والخلق الحسن ؛ ومن تغلب عليه حب جمع المال ، ومنعه أهله ، فهو البخيل الشحيح ؛ ومن تغلب عليه الانفراد بالرأى ، والاعراض عن النصيحة والمشورة ، فهو العنيد المستبد ؛ ومن كان قلباً حولا ، ليس له حال متغلبة عليه : فهو المتعطل من الخلق العارى من الأرادة الماضية ، والعزيمة الصادقة : إذا عاشر الأسخياء ، شاكلهم وحاكاهم فجاد وأعطى ، وإذا عاشر البخلاء قيل أثرهم فمنع وأكدى ، إذا حببت إليه النجدة والأغاثة سارع وأبى ، واذا زين له الكيد والوقيعة بالناس انقاد ولبى ، ذلكم الامعة ؟

محمد أحمد جاد المولى

مؤلفاتك!

هل تريد ذيوعها ؟

مطبوعاتك!

هل تود اتقانها ؟

مجلة المعرفة!

هل راقتك نظافتها ؟

إن شئت : ضبط المواعيد ، ودقة التصحيح ، ونظافة الطبع

مطبعة المعرفة

بشارع عبدالعزيز رقم ٤ بالقاهرة

فهى كفيلة بتحقيق ذلك كله